نماذج من كتابات حول ميخائيل نعيمه

(وفقًا للتسلسل الزمنيّ)

وقد وصل ميخائيل نعيمة في جميع قِيَمه الصوفيّة إلى أعلى ما يصبو إليه على لسان "مرداد". وقد وقف "مرداد" بين الشرق والغرب واعظًا، مرشدًا، [...]. إنّما "مرداد" نعيمة هو [...] المتصوّف بشاعريّته وإيمانه، وهو النتيجة الحتميّة لامتزاج الثقافة الشرقيّة بالغربيّة، وهو انتصار الإيمان على العقل في جميع مظاهره. ولسنا نغالي إذا قلنا إنّ مرداد هو نعيمة نفسه، هكذا أراد أن يكون، لأنّه خلقه على مثاله، يحمل رسالة الإنسان إلى أخيه الإنسان، معلنًا دعوته إلى الملإ، فجاءت سابقة لعصره. أمّا دعوته فهي دعوة إلى الوحدة العالميّة، وإلى الإنسانيّة التي لا تفرّق بين البشر[...].

امتاز [نعيمة] بثقافة عميقة استمدّها من مظانّها، ثقافة روسيّة، وثقافة أوروبيّة، وثقافة أميركيّة، بالإضافة إلى ثقافته الشرقيّة التي حافظ عليها بعناد الرسل، وسلوك الصوفيّين، وأصحاب المبادئ الراسخة، داعيًا إلى وحدة العالم تحت راية الإنسانيّة، لكي يتوافر لكلّ إنسان– دون اعتبار الفروق– وطن عالميّ، وحكومة عالميّة، وهدف عالميّ واحد.

ثريّا مَلْحَس،

"خاتمة المطاف" في **ميخائيل نعيمة الأديب الصوفيّ**، بيروت، دار صادر، ١٩٦٤، ص ١٨١-١٨٢.

###

[...]. وسرّ أدب نعيمه، كسرّ كل أدب أصيل، هو في تلك الوحدة العضويّة التي تجمع فيه بين النقد والفنّ والفلسفة، بين العقل والقلب والرؤيا والخيال، بين الشّكل والمضمون، والكاتب والمكتوب، في كلٍّ متماسك تماسُكَ البنيان في الجسم الحيّ.

في الغربال، باكورة مؤلَّفات نعيمه النقديّة، ومعرض نظريّته النقديّة، أنّ الإنسان محور الادب. فالأدب الذي ليس تعبيرًا صادقًا عن الإنسان كما يحسّ الحياة وينفعل بها، وليس صورة صادقة له، ليس أدبًا على الإطلاق. من هنا حدّد نعيمه لنفسه المهمّة المتعدّدة الجوانب التي ينبغي أن يقوم بها كأديب. لقد كان عليه، من جهة، أن يكشف الزّيف في الموروث من

أدب شعبه عبر القرن التاسع عشر، ومطلع العشرين، وهي مهمّة قام بها في **الغربال** وفي سائر مؤلّفاته. كما كان عليه، من جهة أخرى، أن يخلق النماذج البديلة للأدب الجديد المنشود. فكان **همس الجفون** في الشّعر، و**الأرقش** في الرواية، و**الآباء والبنون** في المسرحيّة، و**جبران** في السيرة، و**المراحل** في المقال التأمّلي والفكريّ والاجتماعيّ. وهذه في الواقع نماذج لا يبدو في الكثير من جوانبها أنّ الأدب العربيّ قد تخطّاها إن لم نقل قد بَلَغَها.

أمّا المهمّة الأعسر والأدهى التي حدّدها نعيمه لنفسه، عن طريق إيمانه بأنّ الإنسان محور الأدب، وأنّ الأدب تعبير عن الإنسان كما يحسّ الحياة وينفعل بها، فتتعلّق بهذا الإنسان وهذه الحياة ماذا عساها أو عساه يكون. وإلاّ فما معنى أدب يكلّف نفسه التعبير عن شيء لا يعرف حقيقته؟ من هنا كان البعد الثّالث لأدب نعيمه وهو تكوين موقف متكامل من الإنسان والوجود. وهذا البعد الثالث الذي ارتسمت خطوطه في أدب نعيمه المهجريّ بدأ يطغى على معظم الأبعاد الأخرى بعد رجعة صاحبه في الثلاثينات إلى موطنه لبنان. إنّه البُعد الذي ينتظم مؤلَّفاته جميعًا، ويبلغ ذروته في **مرداد**. [...].

[وفي] الفلسفة التي بلورها نعيمه لنفسه يكمن الكثير من أسرار أدبه. فأدبه دائمًا مُثْقَلٌ بالمضامين، مخلص أبدًا لمتطلّبات رسالته، واعٍ باستمرار أنّه أدب رسالة إنسانية. ولعلّ أبرز هذه الأسرار في أدب نعيمه أنّ أبطاله الموّزعين في أدبه الرّوائيّ هم دائمًا في توتّر، في صليب. فكأنّهم التجسيد الحيّ لموقف فلسفيّ لم يشَأه الكاتب أبدًا ان يكون تجريديًّا. فالحياة كما صوّرها **الغربال** في نظريّته النقديّة تجسيد لا تجريد. ونعيمه حريص على إخلاصه لنظريّته النقديّة. [...].

نديم نعيمة،

"عن ميخائيل نعَيمه" في **الفّن والحياة: دراسات نقديّة في الأدب العربيّ الحديث**، بيروت، دار النهار للنشر، ١٩٧٣، ص ١٠٧- ١٠٨، ١١٠.

###

والواقع أنّ الأثر الذي أحدثه نعيمه في الأدب العربيّ الحديث لم يصل إليه غيره من الأدباء الذائعي الصيت، ويعود ذلك لأسباب كثيرة منها أنّه أمدّ الله في حياته، عَمَّر طويلًا، وأنتج كثيرًا. ومنها هذا الميل الآسر فيه، منذ نشأ، للتجويد والإتقان، وصفاء الديباجة، وعمق الفكرة، والتفتيش على الجواهر المتألقّة في النفس البشريّة. وهذا الأسلوب اللاذع الذي لا يجيده غير الموهوبين الكبار الخالدين في الأدب العربيّ وغيره من الآداب العالميّة. ومنها أنّ نعيمه انتهى به المطاف لحمل رسالة روحيّة، آمن بها وبرزت من خلال كتاباته كلّها. وأيّ توفيق وراء هذا يطمح له عبقريّ موهوب يعمل لخير الإنسان وَفَلَاحِه.

السيّد علي إبراهيم،

"ميخائيل نعَيمه" في **مع أعلام الشعر والأدب**"، الطبعة الأولى، بيروت، منشورات حَمَد، ١٩٧٤، ص٢٠٣.

###

صفاءٌ في الذهن، واستقامةٌ في النقد، وغيْرةٌ على الإصلاح، وفَهْمٌ لوظيفة الأدب، وقَبسٌ من الفلسفة، ولذعة من التهكّم- هذه خِلال واضحة تطالعك من هذا " الغربال" الذي يطلّ القارئ من خلاله على كثير من الطرائف البارعة والحقائق القيّمة.

والحقّ أنيّ قد وقعت من قراءة هذه الصفحات على قرابة صحيحة، وجوار ملاصق في الحيّ الذي أسكنه من هذه الدنيا الأدبيّة الجديدة. رأيت قلمًا جاهدًا في طلب الشعر الصحيح، شعر الحياة، لا شعر الزّحافات والعِلل، ورأيته ينعي على الشعر الرثّ الذي تركنا بلا شعر ولَم يبقَ "في حياتنا ما ليس منظومًا سوى عواطفنا وأفكارنا"؛ ورأيته يريد من الشاعر أن يكون نبيًّا وينكر أن يكون بهلوانًا؛ ويريد من الشاعر أن يكون وحيًا وإلهامًا، وينكر أن يكون "ضربًا من الحلج والجمز والمشي على الأسلاك، والانتصاب على الرأس، ورفع الأثقال بالأسنان، ولفّ الرجلين حول العنق، إلى ما هنالك من الحركات التيّ تجيدها القردة أيّما إجادة" [...].

وإنيّ لأعرف كيف يستحقّ النعيميّ التهنئة بجرأته التي ظهر بها في مقالاته، وصراحته التي تقدّم بها إلى غربلة الناس والكتب والآراء، لأنتّي أعرف الآراء المستحدَثة وما تجلبه على أصحابها من الغضب والملاحاة في بلاد العالم أجمع، وفي بلاد الشرق خاصّة. أعرف أن ليس أَضْيَعُ عندنا من مجترئ على تمزيق غلاف الأجنّة عن جوارحه واستنشاق هوائه بأنفه، وأن ليس أخسر صفقة في موازيننا من عمل داعٍ إلى جديد. لأن أنصار الجديد قليل في كلّ جيل، والفاهمين منهم لِمَا ينصرون أقلّ من قليل [...].

وليس أديبنا صاحب هذا "الغربال" ممّن يجهلون هذه الحقيقة، فقد عَلِمَها وادّرعَ لها، وغَرَبَلَ الناس، وهو يظنّ أنّهم ناخلوه. وسيصدق ظنّه، وسينخل الناس كلامه، وسيقولون فيه كثيرًا من الحقّ والباطل. ولكنّي ضامن له أن سيبقى له في أوسع غرابيلهم التّي ينخلونه بها بقيّة لا ينكرها عليه مُنْصِف، ولا يبخس قيمتها عارف. فسيشهد الخالون من الغرض أنّه عمل في تصحيح كثير من مقاييس الأدب، فأفلح وأفاد. ومن صحَّح مقياسًا للأدب فقد صحّح مقياسًا للحياة. وخليق بتصحيح مقاييس الحياة أن يكون أمل أمّة، لا أمل أديب، أو طائفة من الأدباء.

عبّاس محمود العقّاد،

"مقدّمة الطبعة الأولى [لكتاب الغربال]" في **المجموعة الكاملة، الغربال،** لميخائيل نعيمة، المجلّد الثالث، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٩، ص ٣٤١ -٣٤٤.

###

إنّ فهم فكر نعيمه الفلسفيّ، في جوانبه المتعدّدة، هو القاعدة الصحيحة التي تصلح- وحدها- أساسًا لأيّ تحليل موضوعيّ ذي مضمون.

والبحث في فكر نعيمه أمر ممتع ومثير. فنحن نكاد ندخل لا "سبعون" سنيه، بل سبعين عطائه وأبحاثه ومؤلّفاته وفكره، سبعون سنة–أو يكاد- عرفَتْ عطاءً نعيميًّا بلا حدود، وتجربة إنسانيّة موسوعيّة واضحة البصمات في كلّ عبارة صاغها، [...]

فكر نعيمه مثير كذلك لأنّه حادّ رغم هدوئه، متطرِّف رغم رصانته، يضع كلّ الأفكار بوضوح وتماسك وشجاعة، لا يقبل مساومة على حساب الحقيقة، ولا تزلّفًا أو مسايرة لسلطان أو لسلطة، فلا يتجنّب بالتالي بحثًا في الدين حتّى ولو أزعج البعض، ولا بحثًا في الاجتماع قد يُحرج بعضًا آخر. [...].

ولا تستطيع إلّا أن تلحظ في كتابات نعيمه، أسلوبه الرائع السبك، البهيّ الرونق والمتلألئ إشراقًا وهدوءً وجمالًا، تعكس رضًى وطمأنينة وسلامًا.

محمّد شفيق شيّا،

"تمهيد" في **فلسفة ميخائيل نعيمه؛ تحليل ونقد،** الطبعة الأولى، بيروت، منشورات بحسون الثقافيّة، ١٩٧٩، ص ١٣-١٥.

###

وإذا كانت " الأنا" أو "الذات" هي مبتدأ الحنين ومنتهاه، فلا أرى بدًّا من تتبّع التحوّلات التي ارتدَتْها أشكال تلك الذات، حتّى أنْ بلغت شكلها الأكمل والأخير، حين وقَفَ الكاتب عند الحدود الفاصلة بين جسدِ العالم المتطوِّر، والمجهول السحيق الذي هو روح الحياة أو الله.

فيرتدي الكاتب صيغةَ الأرقش، وفي اصطراع المفارقات بين مشتهى الجسد ونداء الروح، ينتحر الأرقش. طُويَ التراب المائت، أمّا الجذوة التي من طبيعة الأبد فستبقى لتتقمّص أشكالًا من الوجود أُخَر.

ثمّ شهد احتضار جبران، ومن خلال نفسٍ هي أختُ نفسه، عاش تجربة الموت. تقرّر لديه مبدأ الرجوع الأبديّ، ومسار قطرة الماء: من البحر وإلى البحر تعود، كما بدت لـ "Emerson" ومَن دار في فلكه. لذا فتح كتابه في جبران بفصل الاحتضار الذي تلاه فصل الولادة.

ويُشبه أن تكون مسألة الموت قد شغلته حتىّ غدت هاجسًا فيه. واستقرّ في إرهاصه، منذ ذلك العهد الباكر، أنّ ما ينبع من قلب الحياة سرمديّ كالحياة، ومن الخُلْف المنطقيّ أن ينبثق من الحياة ما ينافي طبيعتَها. هذا ما أفضى به من بعد الى القول بأنّ الموت هو نقيض الولادة وليس نقيضًا للحياة. ولذا قلتُ أنْ ليس في عالمه موضعٌ للموت، بمعنى أنّ الموت دخول في العدم.

ثمّ ينقضي نحوٌ من أربعة عشر عامًا على موت جبران. فيتقمَّص الأرقش هويّةَ " ليوناردو" في كتابه " لقاء" الذي صدر في ١٩٤٦. فيكتنف الكتابَ بأسره لونٌ من الغرابة. الروح تتجلّى في نغم. الزمان ترتبط فيه الآزال بالآباد. يتّخذ بعدًا غيبّيًا، من أنّ الحاضر ليس غير رموز لوجود ماضٍ قديم يتكرّر [...].

هذا التعّرض لسحر الحياة هو الذي يشرّع الحنين فيتّجه الخيال "بعين ثالثة " – على حدّ تعبيره – نحو عالم يطأه الخيال من قبل : هو عالم الخارق.

منذ تلك البداية يتحوّل الملّاح المندهش بالكون المرئيّ، إلى رحيل أبعد. حين يتولّد فيه الحنين إلى اختراق الحجب الصفيقة التي يسكن خلفَها الخارق.

وفي هذا التحرّق إلى كشف السرّ المغيَّب يُشاب الحنين بمُرّ القلق.

أنطون غطّاس كرم،

"مرايا الحنين في أدب ميخائيل نعَيمه"، في **ملامح الأدب العربيّ الحديث**، بيروت، دار النهار للنشر، ١٩٨٠، ص ١٥١–١٥٢ .

###

ويركّز نعيمه على [...] محور الإنسان غير المنفصل عن النظام الكونيّ، فيشدّد، أكثر ما يشدّد، على حبّ الرجل والمرأة مبرزًا المنحى الروحيّ فيه. ثمّ يعطف على قضيّة الموت مبينًّا أنّه لا يقضي على حياة الإنسان الأزليّة الأبديّة، وإنْ وضع حدًّا لعمر من أعماره. ويعكف على ظاهرة الأحلام، فيرفض الفصل بين الحلم واليقظة، ويوضح أنّ في الأحلام قرائن تتخطّى حدود المكان، وتتعدّى حدود الزمان المتعارَف عليه، لتكشف عن أمور تتعلّق بالماضي، أو تُؤذِن بأحداث سوف تقع في المستقبل. ويقف على ظاهرة العجائب ليبدي علاقتها بالإيمان، والمحبّة، والإرادة، والنظام الكونيّ الذي يعمل على تحقيقها.

ولا يغفل نعيمه القضايا الاجتماعيّة فيبيّن أثر الحرب والمال في حياة الإنسان.

ويتطرّق نعيمه إلى عالم الحيوان، مؤكّدًا أنّه لا ينفصل عن النظام الكونيّ، وعن الحياة الإنسانيّة، على الرغم من وجود اختلاف بين الإنسان والحيوان. فالإنسان روح تسعى إلى السيطرة على الغريزة، والحيوان غريزة بثّها النظام فيه للمحافظة على الأنواع. وقد توسّل نعيمه بالموسيقى ليعبّر عن المجاهدة الروحيّة التي على الإنسان أن يلجأ إليها ليتحرّر من الغريزة الكامنة فيه، كما أنّه بيّن نوع العلاقات التي يجب أن تحكم علاقته بالحيوان، وهي علاقات تقوم أساسًا على مبدإ الرأفة.

متري بولس،

"الخارق وتحويل الذهب إلى رماد"، في **الخوارق في روايات ميخائيل نعيمه وأقاصيصه**، الجزء الأوّل، الطبعة الأولى، جونية، لبنان، مطبعة فؤاد بيبان وشركاه، ١٩٨٥، ص ٣٢٣-٣٢٤.

###

يعيش في لبنان وكأنّه في طائرة.

إذا أردت أن تملأ عينيك من النظر إليه، أن تسمعه يتحدّث بذلك الصوت المتهدّج، أن يرسم لك كبرياء الأديب، أن يرتفع بالكلمة إلى أوْجِها، أن تستند إلى حجر الزاوية في بناء، فعليك أن تقوم بما قامَ به ابن الروميّ- مرّة واحدة في حياته- يوم تجشّم السفر الى سامرّاء فزار عظيمًا.

إنّه هناك، فوق، عند أقدام قمّة من لبنان. كأنيّ به أراد أن ينقل حتّى جسده إلى جوار القمم.

عندما يُلبّي دعوة للاشتراك في ذكرى أديب، أو مهرجان شاعر، [... يحيط]، قبل كلّ شيء، تلك التلبية بهالة من الكرامة والمهابة. ينحدر إلى العاصمة، أو إلى أيّ مكان من الدنيا، انحدار النسر من أعاليه، لا يحمل معه غير الأجنحة التي يضنيها الانطواء على الأمكنة الوطيئة. فهو يترك عشّه وكأنّه يغترب.

[...] وبعدُ، أيّ بيت لبنانيّ عتيق وليس فيه من ميخائيل نعيمه ضوء سراج؟

ولكن أيّ بيت لبنانيّ مُحْدَث– غارق في الخزّ والديباج– فيه مكتبة، ولو صغيرة، تحمل من أعلامنا بعض رحيقهم المُسكِر.

لم يَقُمْ ذلك الفيلسوف، بعد عودته من الدنيا البعيدة، بأيّ عمل، ولم يَرْضَ بأيّ منصب، لأنّه لم يمدّ يده إلّا إلى كتبه.

جورج غريّب،

"ميخائيل نعيمه" في **أعلام من لبنان والمشرق**، بيروت، دار الثقافة، ١٩٨٦، ص ١٤٥–١٤٧.

###

آمن نعيمه بالإنسان ورأى فيه عظمة لا تعادلها عظمة، وعبقريّة لا تعادلها عبقريّة. رآه أعجب ما في الكون، وأعجب ما فيه هو إرادته طلب الزيادة على ما هو فيه. رآه إنسانًا في قلب إله، وإلهًا في قلب إنسان، فوقف خاشعًا مصلّيًا هاتفًا داعيًا خاطبًا بين الناس: "ألا مجّدوا معي الإنسان، مجّدوه فهو أعظم من كلّ أعماله... مجّدوه فمهده في الأزل ولحده في الأبد... مجّدوه لأنه كامل وعنوان الحياة الكاملة"[١].

[...] فالإنسان عظيم، وأيّ عظيم.

أمّا عظمته فليست في أفعاله وأعماله وأقواله واختراعاته، مهمَا كانت كبيرة وهائلة، ولكنّها في مقدرته على المحبّة والمعرفة الكاملة. وقد تغنّى صاحب **همس الجفون** بهذه العظمة بعاطفة حسّاسة رنّانة، ونغمة إنسانيّة تحرّك القلب، وتبعث فيه الإيمان والثقة والمحبّة. وثقة صاحب **النور والديجور** لا تذهب إلّا للإنسان المتحرِّر المدرِك الذي وعى إنسانيّته، وَفَقَهَ معناها وهدفها. وفي يد هذا الإنسان يضع صاحب **مرداد** الزمام ليقود الجماهير إلى غايتها.

ومن هنا كان إيمان نعيمه بالفرد المتميّز، أو بالإنسان التّواق إلى التغلّب، أو بالنبيّ والعبقريّ الذي يَثِب ويتخطّى جمود الجماهير. لذلك حاول نعيمه أن يثير وجدانه، ويحرّك قلبه وأشواقه وخياله، ويقويّ إرادته.

عفيفة غيث،

"ما هي علاقةُ الإنسان بالعالم الماورائيّ في عُرف ميخائيل نعَيمه" في **الإنسان والعالم الماورائيّ عند ميخائيل نعَيمه**، طبعة أُولى، بيروت، منشورات المكتبة البُولُسيَّة، ١٩٨٦، ص ١٦٢–١٦٣.

###

---

١ نعيمه، ميخائيل، **زاد المعاد**، الطبعة الرابعة، بيروت، دار صادر، ١٩٦٦، ص ٢٩.

أظنّ أنّه قد حان الحين لنوضح ما نبغي من تلك الألفاظ العامّة التي كرّرناها غير مرّة طالبين إلى شعرائنا وكتّابنا أن يأخذوا بها إذا أرادوا أن يمسّوا نفوسنا. نريد أدبًا مهموسًا أليفًا إنسانيًّا، وها نحن اليوم نعرض نموذجًا له.

دعنا ننظر في "أخي" قصيدة ميخائيل نعيمة، فعنده سنجد ما نريد، كنوزًا لا مثيل لها في لغتنا، كنوزًا تثبت في المقارنة لأروع شعر أوروّبي.

قصيدة وطّنية قيلت في أواخر الحرب الماضية أو بعدها، فهي إذًا ممّا نسمّيه أدب الملابسات الذي كثيرًا ما نتناقش في إمكان اعتباره أدبًا خالدًا أم لا، وفي فنائه بانقضاء ظروفه أم بقائه بعدها، بل وفي طبيعة هذا البقاء: أهو على نحو ما تبقى الوثائق التاريخيّة مُغْبَرَّة في دار المحفوظات أم كأدب دائم الحياة، دائم الهزّ للنفوس.

[...] نَفَسٌ مُرُسَل وموسيقى متّصلة، فالمقطوعة وحدة تمهّد لخاتمتها، وفي هذا ما يُشبع النفس. ألا ترى كيف يُعِدّك للصورة التي يدعوك إلى مشاركته فيها! [...].

"أخي!" فأنا إذًا شريكه في الإنسانيّة، وأنا قريب منه وهو قريب منّي، ومتى قربت استطاع أن يهمس لأنّني سأسمعه، وسيشجيني صوته الرقيق القويّ المباشر، وهو ينقل إليّ قوّة إحساسه بفضل قدرته على اختيار اللفظ الذي يستنفد الإحساس.

والآن أليس هذا هو الشعر المهموس الذي ندعو إليه، أليس هذا هو الشعر الإنسانيّ الذي نهتزّ لنغماته. إنّ بينه وبين الكثير من شعراء مصر قرونًا، وإنّه لَمِنَ الظلم أن يرتفع بعد ذلك صوت يحاول أن ينكر على هؤلاء الشعراء، نعيمة وإخوانه بالمهجر، أنّهم هم الآن شعراء اللغة العربيّة، وأنّ شعرهم هو الذي سيصيب الخلود.

محمّد مندور،

"الشعر المهموس، "أخي" لميخائيل نعَيمة" في **الميزان الجديد**، الطبعة الأولى، تونس، مؤسَّسات ع. بن عبد الله، ١٩٨٨، ص ٧٧-٧٩.

###

يُدهَش كثيرون عندما يَقرأون كتابة عن شعر لميخائيل نعيمه. وفي اعتقاد هؤلاء أنّ أبوابًا أدبيّة عند أدبينا يجب التعمّق فيها، والكتابة عنها، قبل التطرّق إلى باب الشعر. وهمَ يَرَون أنّ مرتبة نعيمه الشعريّة تتدنّى عن الأدبيّة الفكريّة عمومًا.

إنّ الكثيرين هؤلاء على جانب مهمّ من الصواب ومن الحقّ. لكنّنا نرى أنّ بعض قصائد الشاعر في مجموعته " همس الجفون" يرتفع الى مستوى شعريّ قد لا يبلغه شاعر إلاّ إذا توفّرت له أصالة في هذا الفنّ، وإذا تميّز بثقافة غنيّة، وببصيرة نقيّة نافذة، وبمبراس في التشكيل والتوزيع والصياغة. من هنا كانت الضرورة لنتعرّف إلى النعيمة شاعرًا تجاوز الحاشية وبلغ المتْن.

فقصائد "همس الجفون"، في مجملها، تنقلنا إلى جوّ خاصّ هو جوّها. وتحثّنا لنرفض المناهج الجامدة، ونشارك في المنهج الجديد المتحرّك، شكلًا ومضمونًا. هي قصائد تنطلق من قضايا، ومن تساؤلات، لتصل إلى حلول وأجوبة تساعد في نهضة الإنسان والزمان.

وهي التي لا تُقال لتظهير براعة في بلاغة أو فصاحة، أو لتقديم زينة وزخارف، او للابتهاج بلُعَبٍ جماليّة تُدْهِش... ولا تُقال لنطرب ونهتف ونسكر، أو نتأمّل... بل قد تُقال فقط لنتأمّل.

وهذه الصفات التي تحتملها مثل هذه القصائد، تُفْقِدها جمًّا وافرًا من الجاذبيّة والشاعريّة والإدهاشيّة... لكنّها قصائد تبقى، وتحتّل مقصورة هادئة في قصر الشعر الشاهق.

جورج غانم،

"ميخائيل نعيمَه لا لِنَهْتف بل لنتأمّل"، في **شعراء وآراء**، الطبعة الثانية، بيروت، دار صادر، ١٩٩١، ص ٢٩١-٢٩٢.

###

[...] هو ابن الهجرة، عاناها بعد أن أتمّ دروسه الابتدائية في المدرسة الروسيّة، في بسكنتا. وهو ناقد " الرّابطة القلميّة" الّذي عمل على تجديد روح الأدب العربيّ بجعله يتمحورُ حول الإنسان والحياة والقيم الروحيّة الّتي تتعدّى الزمان والمكان. نُضيف إلى هذه الصِّفات أنّ نعيمه الإنسان والأديب قد طُبع بطابَع الدِّين منذُ طفولته.[...]

وندر أن نقرأ لنعيمه صفحة واحدة لا يظهر فيها أثر للعوامل الدّينية والروحيّة. فكما أنّ هجرته لم تكن مجرّد رحلة في المكان والزّمان، بل كانت نموًّا في مجالات الفكر والرّوح، كذلك جاءت كتاباته مشحونة بشؤون الفكر، هادفة إلى معرفة الذّات، كاشفة عن علاقة هذه الذّات بعناصر الوجود.[...]

وإذا كان نعيمه قد اتّفق مع غيره من أدباء "الرّابطة القلميّة" وشعرائها، حول عدّة مسائل دينيّة، فإنّه قد تميَّز عنهم بميزات خاصّة جعلته الأكثر ثقافة بين المهجريّين، من النّاحية الأكاديميّة. والأكثر تضلّعًا من الأدب الرّوسي، والأقرب إلى تجسيد

أفكاره تجسيدًا فعليًّا وحياتيًّا وروحيًّا، في جواء الرؤية الخاصّة التي انتهى إليها. ففي "سبعون" صورة صريحة واضحة لحياة جاهدَتْ وصارعَتْ لتنتقل بصاحبها، من الإطار المادّيّ الذي أفقدها طهارة الشّاب، إلى ملكوت الرّوح الّذي "اغتصبه" "أيّوب" و" مرداد"، وغيرهما، اغتصابًا بالدّم وبالآلام المبرِّحة.

ربيعة بديع أبي فاضل،

"الفكر الدينيّ عند ميخائيل نعيمة" في **الفكر الدينيّ في الأدب المهجريّ (أعلام نماذج)**، الطبعة الأولى، المجلّد الثاني، بيروت، دار الجيل، ١٩٩٢، ص ٧٤٣-٧٤٥.

###

في ذلك الوقت الذي كان فيه جبران يَنْفَحُ العربيّة وأبناءها بهذا الأدب الطريف، كان صديقه ميخائيل نعيمه (بسكنتا ١٨٨٩) يقدّم للعربيّة أُولى محاولاته في فنّ القصص. وقد كانت محاولات جبران فيه باعثًا قويًّا استفزّ نعيمه، وهو الأديب النقّادة، إلى إخراج بعض الأقاصيص التي تدّل دلالة قويّة على أنّه أديب تثقّف ثقافة واسعة في الأدب، قبل أن يعالجه. تثقّف بالأدب الروسيّ، وعرف آثار أعلامه كأندرييف وغوغول وترغنيف ودستويفسكي وغوركي وتشيكوف وسواهم، حين كان يطلب العلم في جامعة بولتافا بروسية سنة ١٩٠٦.

[...] أضِفْ إلى ذلك تثقُّفه بالأدب والحياة في العالم الجديد. وقد أمَّه بصحبة أخيه في خريف عام ١٩١١[...] ودرس اللغة الإنكليزية، ثمّ التحق بجامعة واشنطن سنة ١٩١٢ ليدرس فيها الحقوق والآداب. وتثقَّف بآثار الادباء السكسونيّين، فوقف أمامها خاشعًا يتدبَّر أسرارها ولا يملك إلّا الإعجاب. أمّا حياة التكالب على المادّة، وما تجرّه على الإنسانيّة من عوامل الفساد والانحطاط فلم تَرُقْهُ، بل سوَّدت الدنيا في عينيه، فأخذ ينظر إليها بمنظار صوفيّ قاتم.

[...] إنّه من أقدر كُتاب الاقصوصة في أدبنا على دراسة النفوس وتحليلها، وعَرْضها أمام القارئ وهي تنبض بنبضات الحياة الطبيعيّة [...] .

وميزة أخرى تمتاز بها أقاصيص نعيمه، وهي تلك الصوفيّة التي تنبثق من نفسه انبثاقًا إنسانيًّا محضًا، يجعله يعطف على أبناء البشر المعذَّبين، فيمثّلهم بقلمه ضحايا عادات وتقاليد ومجتمعات، ويقف ليدافع عنهم دفاعًا مخلصًا يتفجَّر من إحساس إنسانيّ عميق، وفكر نيِّر ثائر على التقاليد.

وأسلوب نعيمه ينبثق من كلّ ذلك! وهو يوشّيه بالمواعظ والإشارات الصوفيّة، كما يوفِّر له نغمًا حزينًا، يساوق الموضوعات التي يعرضها. وهو دقيق الملاحظة، يبطِّن ملاحظاته بسخرية لاذعة يلطِّفها بالنكتة المستحَبّة، حتّى يستسيغها القارئ، وحتّى لا تجرح كبرياء الإنسان.

محمّد يوسف نجم،

"أقصوصة المهجر، (٢) ميخائيل نعَيمه" في **القصّة في الأدب العربيّ الحديث، ١٨٧٠–١٩١٤**،[الطبعة الثالثة]، دار الثقافة، [١٩٩٦]، ص ٣٠٠-٣٠١، ٣١٠.

###

ميخائيل نعيمه فَلْسَفَ الحياة والكون والوجود في كتابه **مرداد**. وحاول أن يهتدي إلى مَن نحن، ومِن أين، وإلى أين؟ [...].

آمن بالتقمّص [...] عالج مجمل الأمور المتعلِّقة بالذات البشريّة [...]

لقد كان الشغل الشاغل لميخائيل نعيمه معرفة هدف الإنسان من وجوده والعمل على تحقيق ذلك الهدف.

ومما لا شكّ فيه [...] أنّ ميخائيل نعيمه هو في مصافّ الأدباء والفلاسفة الكبار بما أعطى للأدب العربيّ في مختلف المواضيع، وبترجمة كتبه إلى لغات أجنبيّة عديدة وعلى رأسها **مرداد** الذي يَعتبره هو قمّة مؤلفاته على الإطلاق.

بشارة السبعلي،

"المقدّمة" في **ميخائيل نعيمة يُحدِّثني**، الطبعة الأولى، بيروت، [د. ن.]، ١٩٩٨، ص ٨، ١١.

###

[...] إنّ نعيمه رفضَ ما هو قائم في عالم الإنسان النسبيّ، الثنائيّ، من سلوكات، واتّجاهات ترتكز على التنافسِ والصراع والتناحر، ونَصْبِ الحدود والسدود، على صعيد الفرد والجماعة، والدول والأحلاف والمعسكرات. ودعا إلى أنماط بديلة تفضي إلى التكامل والتآلف والانسجام في كلّ سعي بشريّ، فرديًّا كان أم جماعيًّا. لأنَّ الإنسان لن يفوز بهدفه إلّا بتخلّيه عن أوهام الازدواجيّة، والانشطار، ومفاعيلهما التي لحقت به بعد وقوعه على طريق العقل المسدودة.

ولذلك رفض التمسّك بالأنماط الاجتماعيّة القائمة، والبنى السائدة في عالم الثنائيّات، عالم البشر الواقعيّ، والجمود عندها، لأنّ هذه الأنماط والبُنى قيود تكبِّل الأنسان، وتمنعه من إدراك مرحلة الخلاص. وإنْ رأى أنّ الله وجَّه الإنسان، بطريقة غير مباشرة، إلى طريق العقل وإلى عالم الثنائيّة والواقع، فإنّ هذه الرحلة الحتميّة هي مرحلة لا بدّ منها لكي تتفتّح قدرات هذا الإنسان المعرفيّة، ويحقِّق صورة الله ومثاله فيه فيغدو عندئذٍ، مختارًا، حرًّا، مُرِيدًا، عارفًا كخالقه في نهاية اجتياز هذا العالم.

إذًا ليس نعيمه كارِهًا للمجتمع، أو خصمًا له "Anti-Social"، إنمّا هو ضدّ الأشكال والبُنى التي يتعارف بها الناس، ويتعاقدون عليها في هذا العالم. يتأكّد هذا الاستنتاج بالاستناد إلى (...) فلسفة ميخائيل نعيمه الاجتماعيّة التي تشكّل النزعةُ الإنسانيّةُ، الموحِّدةُ، المنطلقَ، والمآبَ لكلّ المقولات الفكريّة التي طرحها في مؤلَّفاته.

خليل ذياب أبو جهجه،

"الخاتمة" في **الرؤية الكونيّة في أدب مخائيل نعيمة**، الطبعة الأولى، صيدا – لبنان، ٢٠٠٤، ص ٤٢٣-٤٢٤.

###

قد تكون النُعَيميّة أقلّ الفلسفات اللبنانيّة الحديثة سَماكةً في الوجود. لكأنّها أُعطيَتْ من فوق، دُفعةً واحدة. أولها في كلّ آخر من أواخرها. وآخرها في كلّ أوّل من أوائلها. منذ أن كانت لم تبرح كما كانت، جوهرًا يتعالى ضدّ الوجود، بل من دون الوجود، لأنّ عنصرَي الزمان والمكان مفقودان لديها. فلا زمانٌ يُوقِّت عندها، ولا مكانٌ يُحيِّز. انتهت فور انطلاقها. إذ فيها كلّ ما فيها، رُمّةً، حالَ أن بدأت.

لا نستطيع أن نحلّلها كما نحلّل الجبرانيّة والريحانيّة. صاحب النبيّ أحبّ في لبنان ومن لبنان، فتخضخضت أساساته، ثمّ راح ينمو بعد ذلك. وأخيرًا انفلش في رحابِ إنسانيّةٍ عامّة. الريحانيّة صرخة فلسفيّة قوميّة في بلاد العرب. إنّها بنتُ زمانها ومكانها.

أمّا النُعَيميّة فلا شروش في محيطها الاجتماعيّ. إنّها تَشقُلك إلى فوق الفوق بجَمْزة واحدة، فلا تعود أنت من بني البشر. كالعُقاب هي، قلّما تمشي على الأرض بين الناس. عَشِقَتِ السحاب ولمّا تَزَلْ في المهد، فقفزت إليه بخُطوة واحدة، وبقيت هناك. ومن هناك أخذت تكلّم أهل الأرض بلغة لا أرضيّة.

أفي ذلك قوّتها؟ ربّما. أفي ذلك ضعفها؟ ربّما.

المهمّ أنّها، منذ البداية، وضعت ذاتها في صلب الحقيقة. قامت، منذ البداية، على مفهومَين شاملَين: السكوت والإنسانيّة. السكوت، في البيان النُعَيميّ، ملغٍ للزمان لأنّه ملغٍ للحوار. والإنسانيّة، في البيان النُعَيميّ، ملغية للمكان لأنّها ملغية للوطن.

الحوار

علّة الزمان، أو العكس بالعكس. لولا الواحد منهما لما كان الآخر كماضٍ وحاضر ومستقبل. هذا تكسير للحقيقة الدائمة في كلّ آنٍ وأوان.

الوطن

علّة المكان، أو العكس بالعكس. لولا الواحد منهما لما كان الآخر كمِثل هُنا وهناك وهنالك. هذا أيضًا تكسير للحقيقة الشاملةِ كلَّ زاوية من زوايا الأرض.

تلك هي الحقيقة الكلّيّة في نظر ميخائيل نُعَيمه.

أن تكون كما يجب أن تكون حالما تكون. المسافة القائمة بين القوّة والفعل، حتّى تكونَ الحقيقةُ كما يجب أن تكون، لا علاقة لها بجوهر الحقيقة. فقد ينجح الإنسان في عبور تلك المسافة، وقد لا ينجح. الحقيقة، من جهتها بالذات، هي ما هي. التغيّر أو التبدّل يَحصُل من جهة الإنسان. هو ليس مَن هو. أمّا الحقيقة فصامدة إلى الأبد في قِمّة عليائها.

هذا يعني: أنّ الحقيقة لا تتزمّن، لذا هي بنت السكوت. أنّ الحقيقة لا تتمكّن، لذا هي بنت الإنسانيّة.

كمال يوسف الحاج،

"ميخائيل نعيمة (١٨٨٩– [١٩٨٨])" في **المؤلّفات الكاملة**، المجلّد ١١، **في الفلسفة اللبنانيّة (٢)**، الطبعة ١، جونيه، لبنان، بيت الفكر–أَسَسِيَّة كمال يوسف الحاج، ٢٠١٤، ١١/موجز/١٠١٨–١٠٢٥.

###